ومما لا نزال نسمعه من الأغناء ونعجب له أشد العجب قولهم حين تدعوهم إلى أن يعطوا الفقير وذا الحاجة، وتحاول أن تفهمهم أن المال الذي في أيديهم إنما هو مال الله في خزائنهم، كما قال ذلك الأعرابي، وقد سئل عن غنم يرعاها فقال: هي لله في يدي، وتؤكد لهم هذا المعنى فتسمعهم قوله تعالى: (آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) قولهم حينئذ: لو شاء الله لأغنى هؤلاء الفقراء، ولو كان يريد لهم الخير ما حرمهم منه، أيفقرهم الله ونغنيهم نحن؟ وتتذكر على الفور قول إخوانهم من قبل، كما جاء في سورة يس: (وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه؟!)

ويتجه القرآن وجهة أُخرى في الحديث عن المال، فمع تبيان أثره في النفوس خلقا واعتقاد، لا يغفل التصريح بأخذ الحذر منه، وجعله في المرتبة الثانية، ولعل أروع مظهر لذلك هو هذه المقارنة العجيبة الطريفة بين حب الله عن سلطانه، وتعالت أسماؤه، وبي حب المال، وقبل أن نتحدث عن هذه المقارنة نسجل أن القرآن كان واقعياً ـ وهو دائماً كذلك ـ حين كشف عن شعور الناس نحو المال، فهو لم يحلق في سماء الخيال ليصف البشر بأنهم يكرهون الدنيا وزينتها أو يبغضون النعيم والرفاهية فيها، بل قرر في لغة الواثق الصادق، العارف بطبائع النفوس، أن الناس يحبون المال (وتأكلون التراث أكلا لمّا وتحبون المال حبا جما). (إن الإنسان لربه لكنود، وإنه على ذلك لشهيد، وإنه لحب الخير لشديد).

ولم يحاول القرآن أن ينتقص من قيمة المال في تزيين الحياة وتجميلها، (المال والبنون زينة الحياة الدينا) ولكن الإنسان لا يحب المال فقط، بل لا يحب نوعا واحداً منه، وإنما يحب أشياء أُخرى هي ما سماها القرآن شهوات: (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب) ولكن لا ينبغي أن تلهي هذه الشهوات عن ذكر الله (يأيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله).

والملاحظة البدهية توقفنا على حرص القرآن الشديد على أن يجعل المال